المنظومة الصحية الاستعمارية وتعاملها مع الواقع الصحي بالقطاع الوهراني (1945-1954)

عائشة مرجع
دكتورالية تخصص تاريخ الحركات الوطنية المغاربية
قسم التاريخ، جامعة أبو بكر بلقايد تلمسان

الملخص باللغة العربية :

إن الحديث عن تاريخ الطب الاستعماري والوضع الصحي للجزائريين ،إبان فترة الاستعمار الفرنسي ،يطرح تساؤلات عدة ،نظرا لشح المعلومات ،وصعوبة الوصول إلى الأرشيف الفرنسي ،وأيضا قلة الكتابات التي حققت في هذه المواضيع ،عدى بعض الكتابات الأنثروبولجية الفرنسية وكتابات الأطباء الذين عايشوا هذه الفترة ،والتي كان الهدف منها إضفاء الشرعية على الاحتلال الفرنسي فقط ،بحجة أنه جاء لإخراج الجزائر من الظلمات والجهل والفقر ودفعها نحو التحضر .لذا أحاول في هذه الدراسة الاستعانة ببعض الوثائق الأرشيفية والدراسات السابقة لمعرفة مدى انجازات المستعمر في هذا الميدان ومدى استفادة الجزائريين من المنظومة الصحية الاستعمارية .

الكلمات المفتاحية :

المنظومة الصحية الاستعمارية - الجزائريون - الأطباء - الأوبئة - الرعاية الصحية .

Abstract:

The history of colonial medicine and the health situation of Algerians during the period of the French occupation of Algeria continues to pose a number questioned. Due to the scarcity of information, the difficulty of accessing the French archives, and the lack of literature on these subjects, but some writings the French Anthropological and writings of the doctors , in excuse that he came to taking out of Algeria from the dark and the ignorance and the Poverty, her towards the civilization. So I try in this study to use some archival documents and previous studies to know the achievements of the colonizer in the field and extent Benefit For Algerians from the colonial health system.

key words:

Colonial health system- Algerians-the doctors- epidemics- health care.

مقدمة :

لقد أتاحت الحرب العالمية الثانية ،لفرنسا فرصة الاحتكاك بالولايات المتحدة الأمريكية ،الأمر الذي كان له تأثير ايجابي على فرنسا في مجالات عدة ،من بينها المنظومة الصحية التي سارعت فرنسا إلى عصرنتها وتطوير آليات عملها ،بشقيها المدني والعسكري ،في حين كان الشعب الجزائري يعاني من مختلف الأمراض والأوبئة إلى جانب فئات الجرحى والمعطبين ،الذين جندوا في الحربين العالميتين .

وبما أن المجال الجغرافي للدراسة قمت بحصره ضمن القطاع الوهراني ،في الفترة التاريخية الممتدة من سنة 1945 إلى سنة 1954 ،أحاول هنا الإجابة عن الإشكالية التالية : كيف كان الوضع الصحي العام للجزائريين بالغرب الجزائري ؟وهل حقيقة كان للاستعمار الفرنسي منجزات في الميدان الصحي ،استفاد منها الجزائريون ؟ ،والى أي مدى استفاد الجزائريون من الخدمات الصحية الاستعمارية ؟.

وللإجابة على هذه الإشكالية ،ولدراسة هذا الموضوع و إيفائه حقه والإلمام بجوانبه المختلفة لابد من التعرض للمحاور الأساسية التالية :

-الوضع الصحي العام بالغرب الجزائري

-الهياكل الصحية الاستعمارية بالقطاع الوهراني .

-الخدمات الصحية المقدمة للجزائريين .

1-الوضع الصحي بالغرب الجزائري :

لقد أدت السياسية الاستعمارية ،إلى تحول المجتمع الجزائري نحو الفقر المدقع والجهل المطبق ،ومقرا للأوبئة و الأمراض التي حصدت آلاف الجزائريين ذلك لارتباط كل من الفقر والجهل ارتباطا وثيقا بمدى صحة الإنسان ،وهذا ما أكده البروفيسور "لافون بكلية الجزائر" بقوله : ".... أن ولادة 38 لكل 1000 جزائري ،يتوفى نحو 20 إلى 25 ....من خلال عدم النظافة و الجهل"[1]

يمكن أن نرجع تفشي الأمراض إلى مجموعة من الأسباب أهمها :

- السياسة الاستعمارية الاستيطانية التي عملت على مصادرة أملاك الجزائريين .
- عدم النظافة والجهل مما سهل انتقال الأمراض المعدية .
- الفقر والجوع وسوء التغذية .
- عدم توفر الرعاية الصحية للجزائريين .

فنتيجة لكل هذا ،اجتاحت العديد من الأمراض والأوبئة الغرب الجزائري ،يمكن رصد عينة من الأمراض التي كانت متفشية بالغرب الجزائري بكثرة ،بالتعرض أولا للأمراض المعدية التي

توطنت بالقطاع الوهراني ، مثل **الجذري** ،وهو مرض معدي بشكل سريع يتم التخلص منه عن طرق التطعيم ،يظهر هذا الفيروس على شكل حبوب وبثور وندب صغير ،تنتشر في جلد الإنسان ،خلف هذا الوباء العديد من الوفيات في الجزائر ،وحل عدة مرات بالغرب الجزائري ،إلا أن الإحصائيات كالعادة لم تكن تعكس حقيقة تفشي المرض ،ذلك ما يعزوه القائمون على الإحصاء إلى الإجراءات الردعية التي اتخذت في حق التقصير بالإدلاء[2].

فقد بلغ سنة 1945 عدد المصابين بالجذري في القطاع الوهراني 334 مصاب ،ليتطور العدد في سنة 1947 بتقدير 533 مصاب ،ثم انخفض العدد سنة 1949 إلى 314 مصاب ،ليشهد العدد انخفاضا أكثر مما سبق ويصل إلى 56 مصاب سنة[3]1954.

وكذلك مرض السل ،الذي هو عبارة عن مرض معدي تسببه جرثومة تدعى جرثومة السل العصوية ،وهو مرض رئوي شديد العدوانية ينتشر كما ينتشر الزكام بانتقال الجراثيم من الشخص المريض إلى الشخص السليم[4] ،وتظهر أعراض المرض بعد أن يسبب المرض تلفا في الجسم وتتمثل أعراضه في :الحمى ،نقصان في الوزن ،فقدان الشهية ،التعرق ليلا ،الكحة التي قد تستمر لمدة تتراوح مابين أسبوعين أو أكثر خاصة إذا ما كان هناك سائلا أو دما مصاحبا للكحة خارجا من الرئة[5].

فقد كان مرض السل من أكثر الأمراض انتشارا و أخطرها ،ذهبت بحياة الآلاف من الجزائريين ،وكان يموت بسبب السل من الجزائريين ،سبع مرات أكثر من الأقدام السوداء[6]،انتشر الوباء بين الأطفال والبالغين على حد سواء ، تم تسجيل من1 إلى 10 مارس 1945، إصابة 12 شخص بالسل الرئوي بالقطاع الوهراني[7] ،ومابين 11و 20 جانفي 1945 سجل 5 إصابات بالسل الرئوي في وهران[8] ،ومابين 11 و20 فيفري 1945 سجلت 10 إصابات بوهران وإصابة واحدة في غليزان ،وإصابة واحدة في تلمسان[9] .

ومن الأمراض التي اجتاحت الغرب الجزائري أيضا نجد الملاريا ،و هو مرض طفيلي يصيب الإنسان ،يؤدي إلى تكسر كريات الدم الحمراء و أمراض أخرى ،فينتج عنه الوفاة ، تواصل الوباء حتى الخمسينيات من القرن العشرين ،حيث قدرت عدد الإصابات بالملاريا سنة 1953 ب 22010 حالة إصابة بنسبة 8.85% من إجمالي عدد المرضى[10] .

هذا وقد تفشت أمراض معدية وأوبئة مختلفة بالغرب الجزائري ،وبدرجات متفاوتة ساهمت في زيادة عدد الموتى خاصة الأطفال ،نجد منها الأمراض الناتجة عن الأمراض المتنقلة عن طريق المياه ،مثل :الحمى المالطية (البالدوزيوم) ينتج هذا المرض عن طريق فيروس (الإيماتوزوار بلاسيموديومHématozoaire plasmodium) ،ويتم انتقاله عن طريق المستنقعات سجلت عدة إصابات بوهران[11] ،وحمى التيفويد الذي انتشرت بصورة واسعة

في الغرب الجزائري ،تعود أسباب انتشاره إلى النقص الفادح في وسائل الصرف الصحي وعدم النظافة ،ففي شهر جانفي 1945 سجل 15 إصابة بالقطاع الوهراني بالتيفويد والحمى نظيرة التيفية ،باصابة 4حالات في وهران وحالتين في بني صاف وعين العربة ،وحالة واحدة في مستغانم ،و5 حالات في سان دوني دوسيق[12]،وفي شهر فيفري 1945 تم إحصاء 9 مصابين عبر القطاع الوهراني بالتيفويد والحمى نظيرة التيفية[13].

ثم داء الحصبة الذي تم إحصاء 30حالة إصابة بهذا الداء عبر القطاع في شهر جانفي 1945[14] ،ثم انخفض في الشهر الموالي ،فيفري 1945 إلى 4 حالات[15]،وكذلك مرض الحمى المعاودة التي كانت منتشرة بكثرة في شهر فيفري 1945 ،إذ بلغ عدد المرضى المصابين بالحمى المتكررة 73 مصاب عبر القطاع الوهراني ،منها 63 مصاب في وهران[16] .

كما انتشرت أمراض أخرى ،أدت إلى الوفاة في بعض الأحيان نظرا لنقص الرعاية الصحية والاعتماد على الوسائل البسيطة في العلاج مثل :الأمراض التنفسية وخفقان القلب وأمراض الجهاز الهضمي ، والتهاب الجلد والرئة و النكاف والزكام والسعال الديكي [17].

أما سكان الجنوب الغربي فكانوا يعيشون حالة صحية مزرية ،تميزت بتنوع العلل والأمراض نتيجة للإهمال الطبي والقمع الاستعماري والظروف المناخية الصعبة ،فهيمنت أمراض العيون على المنطقة بسبب التعرض الدائم لأشعة الشمس ونسبة الضوء الكبيرة ،والرياح الرملية ،وندرة المياه[18].

على غرار الأمراض الجسدية التي عرفتها الجزائر ،نجد الأمراض العقلية والنفسية التي برزت في الجزائر ،من ذلك الغرب الجزائري ،ويمكن إرجاعها إلى الوضع الاجتماعي والمعيشي المأساوي الذي كان يعيشه الشعب الجزائري ،فكان يعيش تحت سيطرة الاستعمار ،هذا الأخير الذي عمل بمختلف الوسائل من أجل تكريس سياسته والقضاء على الجزائريين ،باستخدام سياسة مست جميع جوانب الحياة (سياسية وعسكرية ،اقتصادية ،دينية ،ثقافية) ،كان لها آثار سلبية كبير على الشعب الجزائري ونفسيته وهذا ما يتحدد في قول الدكتور فرانز فانون[19] بقوله:"..أن نقدر عدد وعمق الجراح التي تصيب المستعمر خلال يوم واحد من أيام حياته في ظل النظام الاستعماري.."[19].

فسياسة فرنسا في الجزائر مثلما قال "منيرفل" أول رئيس لمحكمة الجزائر في عهد الاحتلال ،أنها كانت تقوم على أساس فكرة أساسية خلاصتها هي "ينبغي أن يذوب السكان (المسلمون) في الحضارة الفرنسية لأن الشعب القادم من الشمال جاء ليستقر في الجزائر "[20]،وذلك بالعمل على دمج الأهالي والمعمرين تحت سلطة الاستعمار وقوانينه ، ،وهذا ما أكد عليه فرانز فاون بقوله :" ...فنجد عددا كبيرا من هؤولاء المستعمرين في مستشفيات الأمراض العقلية ،ففي

هذه المرحلة من الاستعمار المنتصر ،ترى مقدارا مطردا كبيرا من الأمراض يحدثه الاضطهاد إحداثا مباشرا "[21].

في هذا الشأن قدم الدكتور جاشكل Dr.Gachkel طبيب في مصلحة الطب العقلي ،بالمستشفى المدني وهران ،تقرير مفصل عن أعداد المرضى المصابين بالأمراض العقلية ،فقد بلغ عدد المرضى العقلين الذين تواجدوا بالمستشفى إلى يوم 20مارس 1946 بلغ 62 مريض ،ومابين 21مارس 1946 و20أفريل 1946 خرج 58 مريض ،منهم 46مريض خرج بضمان ،و2حالة وفاة ،و3حالات تم نقلهم إلى مستشفى سيق ،و15نقلت إلى مستشفى بليدة ،و4 حالات نقلت إلى مستشفيات أخرى[22] .

وفي تقرير آخر للدكتور كودريك Dr. COUDERC ،بمصلحة الطب العقلي في المستشفى المدني وهران ،أوضح بأن عدد المرضى العقلين المتواجدين بالمصلحة إلى حد يوم 20مارس 1947 ،بلغ 91 مريض ،والمرضى الذين خرجوا من المستشفى ما بين 20مارس1947 و20 أفريل 1947 ،50 مريض ،منهم 25 مريض خرج بضمان ،2 حالة وفاة ،و 4 تم نقلهم إلى مستشفى سيق ،18 مريض نقلوا إلى مستشفى بليدة ،ومريض نقل إلى مستشفى آخر[23] .

في حين هيمنت أفكار وتصورات مفزعة من قبل الطب العقلي الاستعماري في وصف المسلم الجزائري ،فأصبح الجزائري يوصف بذلك المخلوق المتميز بنقائص مختلفة ،تؤكد تفوق الرجل الغربي .وهذا ما حاول التأكيد عليه الطبيب أنطوان بورو[24] حيث يقول :"الأهلي متبجح ،كذاب ،لص وكسول ،معتوه يمتلك اندفاعات قاتلة لا يمكن توقعها والتحكم فيها"[25]،فقد اعتمد بورو وتلاميذه حسب نظريتهم على أسس علمية ،لتشخيص عقلية المسلم الجزائري ،كان الهدف من ورائها التأكيد على قصور الجزائريين ،ووجوب استعمارهم وتسيير شؤونهم ،من أجل إضافة نوع من الشرعية على الاحتلال.

في حين أرجع الدكتور "دي مورودي تور" ،إن تفسير الأمراض العقلية يكمن في طريقة أداء المسلمين للصلاة ،"وهو السبب البارز للجنون ،وان أي ممارسات مماثلة ،تؤدي إلى نوبة دماغية ...وبالتالي تكرار هذه الممارسات يؤدي عاجلا أو آجلا إلى نوع من حالة الحنون المزمنة و الدائمة "[26]،إذن كان الهدف من هذا التفسير ضرب الدين الإسلامي ،والتشجيع على التخلي عن الإسلام وتعاليمه .

غير أن هناك من الأطباء الذي عارض هذه التفسيرات ،حيث أكد الطبيب بن خليل في أطروحته أنه لا يوجد فرق بين مخ الأهلي ونظيره الأوربي ،وأن علم الأمراض العقلية لا يظهر عند الأهلي أي مفارقة خاصة [27]،والطبيب العقلي فرانس فانون ،الذي يمكن تصنيف أعماله

من الناحية التاريخية ضمن المسار الطبي العقلي النقيض لأعمال أنطوان بورو العنصرية ومدرسته .

2-الهياكل الصحية بالقطاع الوهراني :

قامت الإدارة الاستعمارية ، بانجاز العديد من المنشآت الصحية عبر القطاع الوهراني ،وبالأخص في المدن المهمة ،التي تعج بالمستوطنين ،يمكن عرض أمثلة منها :

عرفت وهران بوجود منشات صحية وعسكرية تم بنائها من طرف السلطات الاستعمارية يمكن إبرازها كالتالي:

قام الاستعمار ببناء مستشفى في ثكنة الكوليزي يستوعب 720 سرير سنة 1845 ،كما تم تهيئة مستشفى مدني سنة 1860 مستشفى القديس لازارا saint lazagre ،بعد تضرر هذا الأخير ،ثم فتح مستشفى جديد سنة 1883 ،خارج المدينة على مساحة 10 هكتارات ،في تقرير للطبيب العام ورئيس الخدمات الصحية لشمال إفريقيا والناحية العسكرية السادسة حول الاستشفاء والتعبئة سنة 1951 ،تم إحصاء عدد الأسرة لمستشفى وهران ب 485 سرير مخصصة للجراحة فقط[28].

كما تم تهيئة المستشفى العسكري في ميناء المرسى الكبير سنة 1931 ،ثم في سنة 1934 تم انتهاك حرمة مسجد بوهران وحول إلى مستشفى مع إضافة ملحقات موجودة بالقصبة والقصر الجديد (Hatou Neuf)[29].

إلى جانب هذا نجد مستشفيات إضافية ،ممثلة في معهد المدرسة الوطنية Ecole national d'institut بسعة 300 سرير سنة 1948،والمستشفى العسكري بسعة 400 سرير سنة 1951 [30].

أما في سيدي بلعباس ،فقد أنشأ المستشفى العسكري وسط المدينة مابين سنة 1853 وسنة 1860 ،كان يقدم الخدمات الصحية للعسكريين و الأوربيين ،أما بشأن الرعاية المقدمة للأهالي ،فقد اهتم بصحة بائعات الهوى فقط لمحاربة الأمراض المتنقلة عن طريق الجنس[31].

إضافة إلى هذا نجد مستشفيات و مراكز استشفائية أخرى ،مثل مشفى groupe scolaire thèier ، بقدرة 200 سرير ،و Ecole Libre Du soins ب 200 سرير يقدم خدمات تعليمية ،و مشفى Ecole d'agriculture الموجود على طريق تلمسان[32] ،وكان يقدم خدمات العلاج المختلفة[33].

وبعين تموشنت ،كان هناك مستشفى يتربع على مساحة 3600 كلم^2 ،ففي سنة 1930 كان يحتوي على حوالي 100 سرير ،وعدد حالات الاستشفاء كانت تقارب 1000 في السنة[33] ،كما

خصصت السلطات الفرنسية مستوصف لمعالجة أمراض العيون بالقرب من المستشفى[34].كان يقدم خدمات علاج مختلفة والجراحة في مختلف التخصصات[35].

و بغليزان كان تحتوي في البداية على مستشفى عسكري فقط ،ليتم التنازل عنه لفائدة المدنيين سنة 1870 ،وفي سنة 1882 استفاد المستشفى من قطعة أرض ،تم استغلالها في بناء أجنحة أخرى ،كان يحتوي سنة 1930 على 104 سرير[36] ،ومع سنة 1948 أصبح المستشفى يقدم الرعاية الصحية و الخدمات الجراحية في تخصصات مختلفة[37].

كما شهدت باقي المناطق الأخرى تواجد مستشفيات عدة ،فتلمسان كانت تضم مستشفى رئيسي يحتوي على 700 سرير سنة 1948 ،ومستشفيات إضافية تتمثل في .groupe scolaire j ferry يحتوي على 250 سرير، و Ecole prin. sup-jeunes filles يحتوي على 200 سرير[38].

ومستشفى ملجأ سيق كان يتسع سنة 1930 ل 253 سرير،37 سرير موجهة للمرضى و 180 سرير للمقيمين ،كما كانت هناك عيادة لأمراض العيون ملحقة بالمستشفى[39].

والمستشفى المختلط بمعسكر و مستغانم الذي قدر مشروع تحسينه ب 1300.000 فرنك[40]،كانت تقدم خدمات العلاج المختلفة في الجراحة وتخصصات متعددة ،ومستشفى الغزوات "نمور nemrous " يحتوي على 38 سرير ويعد من بين المستشفيات والعيادات التبشيرية[41].

كما توفرت أيضا مستشفيات إضافية منها ،مختلطة وأهلية ،تواجدت في كل من أفلو ،عين تموشنت ،عمي موسى ،فرندة ،حمام بوحجر،مغنية ،معسكر ،ندرومة ،سعيدة ،سبدو ،سيدي بلعباس ،سدي بوحنيفية ،تلاغ ،تيارت ،تلمسان[42].

وأنشأت أيضا المستشفيات الأهلية ،خصصت للسكان الجزائريين ،كانت تتوفر على أسرة جد قليلة مقارنة بالمستشفيات الأخرى ، مثل مستشفى سبدو 30 سرير وأرزيو 49 سرير و العريشة 10 أسرة[43] ،أما المستشفيات المدنية الكبيرة كانت تتواجد في المناطق الآهلة بالمستوطنين ،الأمر الذي يزيد على التأكيد أن صحة الجزائري لم تكن أبدا ضمن انشغالات السلطة الاستعمارية ،فلأكثر من قرن بعد الاستعمار لم يكن الأهالي مستفيدين من تغطية صحية لائقة بل كانت تسمى "مساعدة طبية للأهالي"[44].

3-الخدمات الصحية المقدمة للجزائريين :

للتعرف أكثر على مدى استفادة الجزائريين ،من الرعاية الاستعمارية الفرنسية ،لابد من مراجعة إحصائيات الوفيات ،ففي سنة 1948 قدرت عدد الوفيات أوساط المسلمين ب 38217أمام 4209 متوفي أوربي[45]،وفي سنة 1950 سجل عدد الوفيات عند المسلمين ب25875 متوفي ،و2607 متوفي أوربي[46]،وفي سنة 1950 سجل 24564 متوفي مسلم مقابل 3434 متوفي أوربي[47].

فنلاحظ من خلال هذه الإحصائيات أن عدد الوفيات لدى الأوربيين كانت معتبرة ،لكن كانت جد كبيرة في أوساط الجزائريين ،فسنة 1948 بلغ عد الوفيات لدى المسلمين أكثر من 9 أضعاف عدد الوفيات لدى الأوربيون ،وفي سنة 1950 كان عدد الوفيات عند المسلمين قرابة 10 أضعاف من عدد الوفيات عند الأوربيون ،أما في سنة 1953 فبلغ عدد وفيات المسلمين أكثر من 7 أضعاف من عدد الوفيات في أوساط الأوربيين .

الأمر الذي يخلق نوعا من الذهول والتعجب ،حول سبب عدد الوفيات الكبير والهائل لدى الجزائريين دون غيرهم ،على الرغم من وتوفر وتنوع المنشات الهياكل الصحية الاستعمارية عبر القطاع الوهراني ،وهذا ما يمكن أن نعزيه إلى نقص الرعاية الصحية المقدمة للجزائريين .

فالشواهد والوثائق الأرشيفية ،تؤكد على ضعف الراعية الصحية الممنوحة للأهالي ،عبر القطاع الوهراني ،ففي تقرير لسنة 1947 ،يوضح عدم قدرة الضابط جانيت Djanet،على التغطية الصحية لكل دواوير عمي موسى ،فهو لا يستطيع أن يوفر الرعاية الصحية إلا للحالات المستعجلة ،وفي تقرير لسنة 1946 ،يؤكد على أن الحالة الصحية في البلدية المختلطة سعيدة جد مزرية ،فمرض الحمى المتقطعة زاد في التفشي وهناك عدة وفيات[48].

فقد كانت الإدارة الاستعمارية على دارية ،بأن التغطية الصحية غير كافية للأهالي ،لهذا قامت بإنشاء مستوصفات صغيرة وقاعات للفحص ،منها ما كانت تفتقر للماء ،الأمر الذي جعل العديد من المنشآت الصحية ،عرضة للأوساخ والإهمال ،أما الأطباء الذين أسندت لهم مهمة تغطية طالبات صحة الأهالي قليلين جدا مقارنة بعدد الأهالي[49]،خاصة في الأرياف ففي البعض منها كان هناك طبيب واحد لحوالي 50000 جزائري[50].

أما في سنة 1954 ،ومع اندلاع الثورة التحريرية ،قامت الإدارة الاستعمارية بفرض الرقابة على الأطباء ،إذ وصل الأمر إلى حد منع الأطباء والممرضين والصيدليين من ممارسة مهامهم بعلاج المرضى والجرحى ،وإجبارهم على الوشاية بمرضاهم ،وخاصة المشكوك فيه من الجرحى بتسليم ملفاتهم إلى السلطات [51]، الأمر الذي رفضه الأطباء الجزائريون والعديد من الأطباء الأوربيون ،ويتحدد هذا في معارضة مجلس نقابة الأطباء لهذه الإجراءات ،بقيام البروفيسور بييدوليفر piedeliévre ،بإرسال رسالة رسمية موجهة إلى مجالس نقابات الأطباء في الجزائر و قسنطينة ووهران ،ومن أهم ما تضمنته هذه الرسالة ،قوله :"أسمح لنفسي بتذكيركم بأن السر المهني لا يمكن إفشاؤه في أي حالة ولا بأية حجة ،وإنني لأعلمكم أيضا أن على الأطباء بذل العناية نفسها لجميع الأشخاص ،أيا كان ذنبهم أو عرقهم وسواء كانوا أصدقاء أم أعداء ،وإنني لأذكركم أخيرا بأن قانون أخلاقيات المهنة قد حدد ذلك تماما في المادة الثالثة :يجب على الطبيب معالجة

جميع مرضاه بالوجدان عينه أيا كانت ظروفهم وجنسياتهم ودينهم وشهرتهم والمشاعر التي يوحون بها إليه "[52].

كما تعرض العديد من الأطباء إلى القتل والتعذيب والسجن ،على الرغم من ما نصت عليه اتفاقية حنيف 12 أوت 1949 ،بخصوص حماية الإطارات الطبية والمنشآت والمرافق الصحية الثابتة والمتنقلة خلال الحرب[53] .

إلا أن الواقع أكد على عدم احترام فرنسا لهذه المبادئ بتاتا ،نظرا لحملة الاعتقالات الواسعة التي شنت بعد انطلاق الثورة التحريرية ،وقد ضمت قوائم المعتقلين والمسجونين أسماء العديد من الأطباء والممرضين والصيدليين وطلبة الطب في داخل البلاد وخارجها ،على سبيل المثال الدكتور محمد طبال ،الذي كان يعمل طبيبا في مدينة تلمسان ،كان يقوم بالتنقل عبر جبال مدينة تلمسان لربط الاتصال بين المناضلين ،القي عليه القبض من طرف السلطات الفرنسية في نوفمبر 1954 وسجن في سجن قباسة بتلمسان رفقة أطباء[54] .

خاتــمة :

ما يمكن استنتاجه ،اختلاف وتنوع في الأمراض والأوبئة ،وكذلك اختلاف بؤر تواجد الأمراض والأوبئة ،على غرار مدينة وهران بقيت دائما تسجل أمراض مختلفة ،ذلك أن مدينة وهران تعرف تمركز وتوطن المستوطنين بكثرة ،وتوفر مصلحة الصحة التي كانت تحصي عدد المرضى ،على خلاف باقي المناطق الأخرى التي تشهد تمركز الجزائريين وقلة المراكز الصحية .

و ما يمكن ملاحظته مما سبق هو تعدد وتنوع في المستشفيات والمراكز الصحية بالغرب الجزائري ،إلا أن حجم الخدمات المقدمة للجزائريين لا تتوافق مع هذه الإمكانيات ذلك إن صحة الجزائري لم يكن محل اهتمام لدى المستعمر ،وكذلك رفض الأهالي لكل ما يأتي من المستعمر .

إذن فقد أدت مجموعة من العوامل المتراكمة والمتتالية المعيشية ،الاجتماعية والاقتصادية ،ونقص الرعاية الصحية ،رغم التقدم الحاصل في الميدان الصحي إلى تفاقم عدد الوفيات في وسط الساكنة من الأهالي دون الأوربيين ،و وتركز مختلف الأمراض والأوبئة عند الجزائريين ،مقارنة مع الأوربيين الذين قلت عندهم الأمراض والإصابات بالأوبئة الفتاكة ،وما زاد من تأزم الأمر هو تضييق السلطات الاستعمارية على ممارسة الطبيب لمهامه وعلاج المرضى والجرحى من الجزائريين بعد انطلاق ثورة الفاتح نوفمبر 1954 .

الهوامش :

1 مصطفى ،خياطي : **الطب والأطباء في الجزائر خلال الفترة الاستعمارية** ،منشورات ANEP، الروبية ، 2014 ،ص 239.

[2] محمد ،رفاس : **الواقع الصحي في القطاع الوهراني (1914-1962)** ،أطروحة لنيل شهادة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر ،جامعة جيلالي اليابس ،سيدي بلعباس ، 2015-2016 ،ص 170.

[3] المرجع السابق ،ص 171.

[4] ريتشارد كاش ،دانييل ويكلر ، أبها سكسينا ،ألكسندر كابرون :**كتاب الحالات حول القضايا الأخلاقية في البحوث الصحية الدولية** ،منظمة الصحة العالمية ،القاهرة ،2003 ، ص 59 .

[5] Information about tuberculoses ;**Arabic the lung Association** ;Capital health ;Feubruary ;2002; p 4.

[6] محمد ،قريشي : **الأوضاع الاجتماعية للشعب الجزائري منذ نهاية الحرب العالمية الثانية الى اندلاع الثورة التحريرية الكبرى 1945-1954** ،مذكرة لنيل شهادة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر جامعة الجزائر ،كلية العلوم الانسانية ،قسم التاريخ ،2001-2002 ،ص 87 .

[7] FR.CAOM.GGA.2R.178-182 :Détraction de la sante publique .relevé décadaire concernant la situation épidémiologique (nombre des cas maladie contagieuses 1er au 10/03/1945).

[8] IBID: Détraction de la sante publique nombre des cas malades contagieuses déclares du 11au 20 janvier 1945.

[9] IBID:11au 20 février 1945.

[10] محمد ،رفاس :المرجع السابق ،ص 103 .

[11] المرجع السابق ،ص 160.

[12] FR.CAOM.GGA.2R.178-182 : Détraction de la sante publique nombre des cas malades contagieuses déclares du 11au 20 janvier 1945.

[13] IBID: 11au 20 février 1945

[14] IBID: 11au 20 janvier 1945

[15] IBID: 11au 20 février 1945

[16] IBID.

[17] حياة ،ثابتي :المرجع السابق ، ص 289.

[18] مصطفى ،خياطي :المرجع السابق ،ص 258.

[19] طبيب نفسانيّ وفيلسوف اجتماعي زنجي، من جزر المارتنيك، عرف بنضاله من أجل الحرية وضد التمييز والعنصرية ،خدم خلال الحرب العالمية الثانية في جيش فرنسا الحرّة وحارب ضد النازيين. التحق بالمدرسة الطبية في مدينة ليون، وتخصص في الطبّ النفسي ثم عمل طبيبا عسكريا في الجزائر إبّان الاستعمار الفرنسي، عمل رئيساً لقسم الطبّ النفسي في مشفى بليدة . جوانفيل في الجزائر، حيث انخرط منذئذ في صفوف المطالبين باستقلال البلد عن فرنسا . عالج ضحايا طرفي الصراع. على الرغم من كونه مواطناً فرنسياً، ثم انضم فرانز فانون في جانفي 1957 كطبيب إلى جبهة التحرير الوطني الجزائرية غادر سرّاً إلى تونس، وعمل طبيباً في مشفى منوبة، ومحرراً في صحيفة «المجاهد» الناطقة باسم الجبهة،أنظر: عبد المجيد، عمراني : **النخبة الفرنسية المثقفة والثورة الجزائرية 1954** – 1962، دار الشهاب، باتنة، د . ت.ط ، من ص 91الى ص95.

[19] فرانز ،فانون: **معذبوا الأرض**،منشورات ANEP،2004،ص276.

[20] عمار،بوحوش :**التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية** 1962 ،ط1 ،دار الغرب الإسلامي ،بيروت ،1997 ،ص194

[21] فرانز ،فانون :المصدر السابق ،ص277.

[22]FR.CAOM:ORAN19-20:Hôpital Civile d'Oran ,Service de Psychiatrie, rapport Dr.GACHKEL.Oran le 22.04.1946.

[23] IBID: rapport Dr. COUDERC .Oran le 22.04.1947.

[24] أنطوان بورو porot: أحد الوجوه البارزة في تاريخ الطب العقلي الاستعماري في المغرب ،تم تعيينه سنة 1916 رئيس الأطباء في المركز الطبي للأعصاب بالكتيبة العسكرية الفرنسية رقم 197 بالجزائر العاصمة ،مارس مهنته بوصفه أستاذ أخصائي في طب الأعصاب والأمراض العقلية على مستوى كلية الطب بالجزائر ،انظر .مبروك ،لعوج : الطب **العقلي في عهد الاستعمار الفرنسي بالجزائر** ،دار القصبة للنشر ،الجزائر ،2012 ،ص ص 45-46.

[25] المرجع نفسه ،ص 56.

[26] مصطفى ،خياطي :**الطب والأطباء في الجزائر خلال الفترة الاستعمارية** ،منشورات ANEP ،الجزائر ،2013 ،ص 424.

[27] مبروك ،لعوج :المرجع السابق ،ص 58

[28] FR.CAOM : GGA 2R : 178-182 :direction du service de sante, capacité hospitalière des région dans le cadre du plan ,division d'oran .ALGER le 23-09-1948

[29] مصطفى ،خياطي :المرجع السابق ،ص 282.

[30] IBID: FR.CAOM : GGA 2R : 178-182 : hospitalisation a la mobilisation le 28/05/1951.

[31] محمد ،رفاس :المرجع السابق ،ص 42.

[32] FR.CAOM : GGA 2R : 178-182 :liste des établissements ,entreprise et exploitations ,Industrielles nécessaire au fonctionnement du service de la sante en cas mobilisation, ALGER le 07/10/1948.

[33] مصطفى ،خياطي:المرجع السابق ،ص 283

[34] حياة ،ثابتي : المرجع السابق ،ص 283.

[35] IBID : le 30/04/1948.

[36] مصطفى ،خياطي : المرجع السابق ،ص 284.

[37] IBID.

[38] IBID :le 23/09/1948.

[39] مصطفى ،خياطي :المرجع السابق ،ص 284.

[40] FR.CAOM-Oran : 92.2416 ;IBID ; le 07/02/1934

[41] نفسه ، ص ص 284-285.

[42] IBID : Hôpitaux Auxiliaires –Département d'oran le 30/04/1948

[43] محمد ،رفاس :المرجع السابق ،ص 44 .

[44] مصطفى ،خياطي :المرجع السابق ،ص 385

[45] GOUVERNEMENT générale de l'Algérie :Direction générale des finances; service de Statistique générale ,Annuaire Statistique de l'Algérie ,nouvelle série ,Deuxième volume,1948,p34.

[46] GGA,ASA,1950,p27.

[47] GGA,ASA,1953,p24.

[48] محمد ،رفاس :المرجع السابق ،ص 193.

[49] مصطفى خياطي :المرجع السابق ،ص 389.

[50] محمد،رفاس :المرجع السابق ،ص 186.

[51] فرانز ،فانون :**العام الخامس للثورة التحريرية** ،تر :ذوقان قرطوط ،ط 1 ،منشورات ANEP ،الأبيار ،الجزائر ، 2004،ص 145.

[52] نفسه ،ص 145.

[53] المادة 18: لا يجوز بأي حال الهجوم على المستشفيات المدنية المنظمة لتقديم الرعاية للجرحى والمرضى والعجزة والنساء النفاس ،وعلى أطراف النزاع احترامها وحمايتها في جميع الأوقات ،و المادة20: يجب احترام وحماية الموظفين المخصصين كلية بصورة منتظمة لتشغيل وإدارة المستشفيات المدنية ،بمن فيهم الأشخاص المكلفون بالبحث عن الجرحى والمرضى المدنيين والعجزة والنساء النفاس وجمعهم ونقلهم ومعالجتهم ،يجب احترام وحماية عمليات نقل الجرحى والمرضى المدنيين والعجزة والنساء النفاس ،التي تجري في البر بواسطة قوافل المركبات وقطارات المستشفى أو في البحر بواسطة سفن مخصصة لهذا النقل ،أنظر :

Les conventions de Genève du 12 Aout 1949,CICR ,Genève ,la suisse ,p p 45-49.

[54] مصطفى ،خياطي:**المآزر البيضاء خلال الثورة التحريرية** ،منشورات ANEP ،تر :نسيبة غربي ،الرويبة ،2013،ص ص 362-363.